وفي كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي ابي الفرج التنوخي حدثني الاصبهاني من حفظه قال قرأت
في بعض اخبار الاوائل ان الاسكندر لما انتهى الى الصين ونازل ملكها اتاه حاجبه ذات ليلة
وقد مضى من الليل شطره فقال له ان رسول ملك الصين بالباب يستاذن بالدخول عليك فقال
ائذن له فلما دخل وقف بين يديه وقبل الارض ثم قال ان راى الملك ان يخليني فليفعل
فامر الملك من بحضرته بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا حاجبه فقال الرسول ان الذي جئت
له لا يحتمل ان يسمعه احد غير الملك فامر الملك بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح
فوضع الاسكندر سيفا بين يديه مصلتا وقال له قف مكانك وقل ما شئت وامر حاجبه
بالانصراف فلما خلا المكان قال له الرسول اعلم اني ملك الصين لا رسوله وقد حضرت
بين يديك لاسألك عما تريده مني فان كان مما يمكن الانقياد له ولو على اصعب الوجوه اجبت اليه
واغنيت انا واياك عن الحرب فقال له الاسكندر وما آمنك مني قال علمي بانك رجل عاقل وانه
ليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بذحل ولعلمي ايضا انك تعلم اهل الصين حتى لو قتلتني
لا يسلمون اليك ملكهم ولم يمنعهم عدمهم اياي ان ينصبوا ملكا غيري ثم تنسب انت الى
الغدر والتعدي وضد الحزم فاطرق الاسكندر مفكرا في مقالته ثم رفع راسه اليه وقد تبين
له صدق مقاله وعلم انه رجل عاقل فقال له اريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلا
ونصف ارتفاعه اجلا في كل سنة فقال ملك الصين هل غير هذا شيء قال لا قال قد اجبتك
الى ذلك قال فكيف يكون حالك حينئذ قال اكون قتيل اول محارب واكلة اول مفترس
قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك قال اصلح ما يكون ذكره وهذا بما
لجميع لذاتي قال فان اقتصرت منك على السدس قال يكون السدس موفرا والباقي
للجيش ولاسباب الملك قال فقد اقتصرت منك على هذا فشكره وانصرف
فلما اصبح الصباح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبق الارض كثرة

واحاطا

واحاط بجيش الاسكندر حتى خافوا الهلاك فتواثبوا على خيولهم فركبوها واستعدوا
فبينما هم كذلك اذ ظهر ملك الصين على فيل عظيم وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل
ومشى اليه وقبل الارض بين يديه فقال له الاسكندر اغدرت قال لا والله قال فما هذا
الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك من قلة ولا ضعف وانك ترى هذا الجيش
وما غاب عنك اكثر منه لكني رايت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو اقوى
منك واكثر عددا فعلمت ان من حارب الاله غلب وقهر فاردت طاعته بطاعتك
والذلة لامره بالذلة لك فقال له الاسكندر ليس ينبغي ان يؤخذ من مثلك شيء وما
رايت احدا يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردته
منك وانا منصرف عنك فقال له ملك الصين اما اذا فعلت ذلك فانك لا تخسر
ثم قدم له ملك الصين من الهدايا والتحف والالطاف اضعاف ما قرره معه ورحل
الاسكندر عنه انتهى

قلت وقد اذكرتني هذه الحكاية ما حكاه صاحب ابتلا الاخبار عن الاسكندر مع
ملك الصين الاقصى قال ان الاسكندر الاول لما سافر في الارض وفتح البلاد سمعت به
ملكة الصين فاحضرت من ابصر صورة الاسكندر ممن يعرف التصوير وامرتهم ان يصوروا صورته
في جميع الصنائع حتى فاته فصور ومن البسط والاواني والرقوم ثم امرت بجميع ما صنعوه بين يديها
وصارت تنظر الى ذلك حتى اثبتته معرفة فلما قدم عليها الاسكندر ونازل بلدها قال الاسكندر
للخضر يوما قد خطر لي شيء اقوله لك قال وما هو قال اريد ان ادخل هذه البلدة متنكرا وانظر كيف تعمل
قيل قال افعل ما بدا لك فلما دخلها الاسكندر نظرت اليه الملكة من حصنها فعرفته بالصورة التي
عندها فامرت باحضاره فلما مثل بين يديها امرت به فوضع في مطمورة لا يعرف الليل فيها
من النهار فبقي فيها ثلاثة ايام لا ياكل ولا يشرب حتى كادت قوته ان تنفد واختبط عسكره

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)